الذي يقال له فتخ قيل هو بتا فوقية فخا معجمة او مهملة وبيا تحتية وجيم وهي تنقض
على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقرونا اي ودمرنا قرونا بين ذلك اي الامر العظيم
المذكور وهو بين كل امتين من هذه الامم وقد يذكر الذاكر اشيا مختلفة ثم
يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت
وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود ثم قال كثيرا وناهيكم بما
يقول فيه سبحانه وتعالى كثيرا استدل البغوي في تفسيره مدة وسطا
في البقرة عن ابي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما بعد صلاة العصر فما ترك شيئا الى يوم القيمة الا ذكره في مقامه ذلك
حتى اذا كانت الشمس على رووس النخل واطراف الحيطان فقال انه لم يبق في الدنيا
فيما مضى الا كما بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي
اخرها واكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى قال تسلية لنبيه صلى الله عليه
وسلم وتاسية وبيانا لشريعته بالعفو عن امته وكلا اي من هذه الامم ضربنا
اي بينا له الامثال حتى وضح له السبيل وقام من غير شبهة الدليل
وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وقال الاخفش كسرنا
تكسيرا وقال الزجاج كل شي كسرته وفتته فقد تبرته ولقد اتوا اي
هولا المكذبون من قومك على القرية التي امطرت اي وقع امطارها ممن لا يعد
على الامطار سواه بالحجارة وكذا قال تعالى مطر السوء مصدر ساء وهي قرى
قوم لوط قال البغوي كانت خمس قرى فاهلك الله تعالى اربعا منها لعملهم
الفاحشة ونجت صغر واحدة منهن وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث
فان قيل لم عبر تعالى بالقرية وهي قرى اجيب بانه تعالى قال ذلك
تحقيرا لشانها في جنب قدرته تعالى لمن يريد عذابه ودلالة على جمع الفاحشة
لهم حتى كانوا كانهم شي واحد وقوله تعالى افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون اي لا يخافون
نشورا اي بعثا بعد الموت لانه استقر في انفسهم اعتقادهم التكذيب
بالاخرة واستمروا عليه قرنا بعد قرن حتى تمكن ذلك منهم تمكينا لا ينفع معه
الاعتبار الا لمن شاء الله واذا راوك اي مع ما يعلمون من صدق حديثك
وكرم افعالك ولم تاتهم بمعجزة فكيف وقد اتيتهم بما بهر العقول ان اي ما يتخذونك
الا هزوا اي مهزوا بك وعبر تعالى بالمصدر اشارة الى مبالغتهم في الاستهزاء
مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون اهذا الذي بعث الله رسولا اي
في دعواه محتقرين له ان تاتيه الرسالة وقولهم ان مخففة من الثقيلة
اي انه كاد ليضلنا اي يصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها بفرط اجتهاده

في الدعا

في الدعا الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا
اي بما لنا من الاجتماع والتعاضد عليها اي على التمسك بعبادتها قال الله تعالى
وسوف يعلمون اي في حال لا ينفعهم فيه العلم وان طالت مدة الامهال في التمكين
حين يرون العذاب عيانا في الاخرة من اضل سبيلا اي اخطا طريقا انهم ام المومنون
ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على وجوههم ولزومهم ما ينفعهم واجتناب ما
يضرهم سلاه تعالى بقوله تعالى متعجبا من حالهم ارايت اي اخبرني من اتخذ
الهه هواه اي اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا ينظر دليلا فان قيل
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها اجيب بان ما هو الا تقديم المفعول
الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق
ولما كان لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى سبب عن شدة حرصه على هدايتهم
قوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا بحفظه من اتباع هواه لا تقدر
على ذلك ام تحسب ان اكثرهم اي هولا المدعوين يسمعون اي سماع من ينزجر
ولو كان غير عاقل كالبهائم او يعقلون اي ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى نطمع
في رجوعهم باختيارهم من غير قسر فان قيل انه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل
فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف بعث اليهم الرسول فان من شرط التكليف
العقل اجيب بانه ليس المراد انهم لا يعقلون شيا بل المراد انهم لم ينتفعوا بذلك
العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم فان قيل لم خص الاكثر
بذلك دون الكل اجيب بانه كان فيهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا
وخوفا على الرياسة ولما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي استانف ما افهمه
بقوله تعالى ان اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بقرع الايات
اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل والمعجزات بل هم اضل اي منها
سبيلا لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسي اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهولا لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا للحق الذي هو المشرع الهني ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني
والعذب الروي ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلايل التوحيد وبين فساد
طريقهم ذكر انواعا من الدلايل على وجود الصانع اولها الاستدلال بالنظر الى
حال الظل مخاطبا راس المخلصين الناظرين هذا النظر حثا لاهل وده على مثل
ذلك بقوله تعالى الم تر اي تنظر الى ربك اي صنعه وقدرته
كيف مد الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا

Copyright © King Saud University